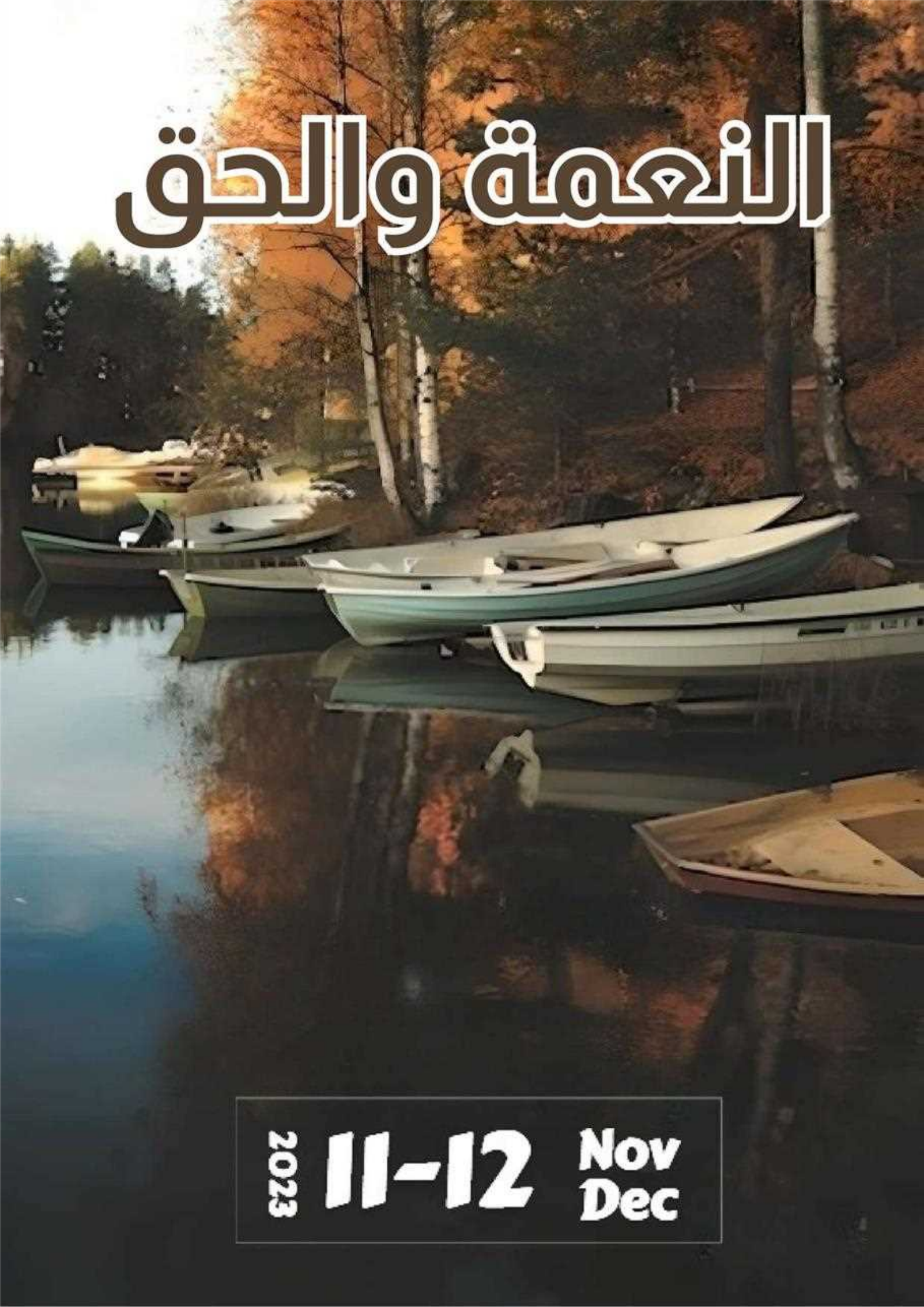
النعمة والحق
Nov
Dec
11-12
2023

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الحادية والثلاثون

2023/ 11-12

العدد ١٨٦

في هذا العدد

افتتاحية العدد	هل تعرفه	١
موضوع العدد	أوصنا لابن داود	٢
موضوع العدد	المسيح ابن داود	١٠
موضوع العدد	ابن داود	١٤
الأخبار السارة	المسيح الملك	٢٤
دراسات مسلسلة	حياة بولس	٢٥
تأملات هادئة	مجد مستقبلي	٣٢
من روائع الكلمة	الراعي الملك	--

إننا عندما نملكه

على قلوبنا وحياتنا...

نختبر شيئًا من أفراح

السما!

❁

اقرأ الأخبار

السارة

ص ٢٤

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ – الإسكندرية (٠٣).

هل تعرفه؟

جون كوشلين في كتابه بعنوان "تأملات يومية"، كتب الكلمات التالية معلِّقًا على متى ١: "كيف يمكننا، بذكائنا المحدود، أن نعرف شخصًا كهذا؟ دبَّر اللّه ذلك بأن أعطانا أربعة أناجيل، حتى تتسنَّى لنا رؤية مجد ابنه من جوانب مختلفة، تمامًا مثلما تُستخدَم تأثيرات ضوئية مختلفة لعرض شيء ثمين. وإنجيل متى هو إنجيل الملك. ولذلك، كان ينبغي إدراج سلسلة نسب فيه، لوضع المسيا من البداية داخل إطار المواعيد التي قطعها اللّه لإبراهيم، ولتقديم دليل قاطع لا يُدحَض على أنه يحمل لقب الوريث لكرسي داود" (غلاطية ٣: ١٦؛ يوحنا ٧: ٤٢). وإن مجد الرب يسوع المسيح، المتمثِّل في كونه الوريث لكرسي داود، لأنه «ٱبْنِ دَاوُدَ» (متى ١: ١)، متَّصل بصورة مباشرة بشعبه الأرضي، أي باليهود. وقد أوضح الرب ذلك جليًّا في حديثه مع امرأة أممية (متى ١٥: ٢١-٢٨). وبالتالي، يُذكِّرنا ذلك هنا أيضًا بأن شعب إسرائيل والكنيسة (المكوَّنة من يهود وأمم) هما جماعتان مختلفتان. ومع ذلك، فإننا نفرح بمعرفة أن الرب يسوع هو ملك اليهود (متى ٢: ٢). لكن مع أنه ملك اليهود، رَفَضَه شعبه. وللأسف، نحن أيضًا قد ملنا كلُّ واحد إلى طريقه، بعيدًا عن ذاك الذي هو اللّه (رومية ٣: ٩-١٨). فقد أبدى اللصان اللذان صُلبا مع الرب يسوع ازدراءً به (متى ٢٧: ٤٤)، ذاك الذي «جَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ»" (متى ٢٧: ٣٧). ومع ذلك، نقرأ في لوقا ٢٣ أن أحد هذين اللصين تاب واعترف بخطيته. ومع أن اسمه ليس معلومًا لنا، كان الربُّ يعرفه، وأدخله إلى محضره في ذلك اليوم نفسه (متى ٢٧: ٤٠-٤٣). يا للنعمة التي نجدها في الرب يسوع، الذي جاء إلى خاصته، لكنه أيضًا فتح طريق الخلاص لكلِّ رجل وامرأة وطفل (يوحنا ١: ١٠-١٤)، حتى يتسنَّى لنا أن نعرفه (١يوحنا ٥: ٢٠)!

ويستكمل جون كوشلين تعليقاته ذاكرًا أسماء بعض الأشخاص الذين تضمَّنتهم سلسلة نسب الرب يسوع، قائلاً: "في هذه القائمة الطويلة، لم تُحذَف بعضُ الأسماء المشينة (مثل آحاز، ومنسى، وأمون، وغيرهم) من سلسلة النسب. فقبل الإعلان عن المخلِّص، أوضح اللّه مرة أخرى أنه في كلِّ جيل - يحتاج الجميع، سواء كان أحد آباء إسرائيل، أو ملكًا، أو امرأة ذات سمعة مريبة - إلى الخلاص نفسه، وإلى الإنجيل نفسه. وأنت أيضًا، عزيزي القارئ، بحاجة، مثلك مثل أيِّ شخص آخر، إلى هذا الخلاص."

موضوع العدد

ستيفن كامبل

أوصنا لابن داود!

تخيَّل معي الرب يسوع وتلاميذه وهم على جبل الزيتون، الذي كان عبارة عن سلسلة جبال تقع شرق مدينة أورشليم. كان يسوع قد أرسل تلميذين ليأتيا إليه بجحشٍ من قرية مجاورة. ثم امتطى يسوع هذا الجحش، وقاده ببطء صوب المدينة، محاطًا بجمعٍ كبيرٍ. وفجأة صاح أحدهم: "أوصنَّا!" ثم ردَّ آخر: "أوصنا!"، ثم ردَّ آخر، وهكذا. وسرعان ما هتف الجمع بأكمله بفرحٍ قائلين: "أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ ٱلآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي ٱلأَعَالِي!" (متى ٢١: ٩).

لا بد أن هذا كان مشهدًا عظيمًا! وربما ونحن نقرأ ذلك، نسمع صدى صوت الجموع، الذين فرحوا لأجل جميع القوات التي نظروا (لوقا ١٩: ٣٧)! إلا أن تلك الأحداث أثارت أيضًا تساؤلات في أورشليم، حيث شاهد الكثيرون ما كان يحدث وتساءلوا: "مَنْ هَذَا؟" (متى ٢١: ١٠).

من المثير أن نقرأ عن فيض المشاعر التي تملَّكت من الجموع في ذلك اليوم (الذي يُطلَق عليه في المعتاد "أحد السعف"). لكن ربما تراودنا نحن أيضًا التساؤلات نفسها: مَنْ هَذَا؟ وما معنى أن يكون "يَسُوعُ ٱلنَّبِيُّ ٱلَّذِي مِنْ

نَاصِرَةِ ٱلْجَلِيلِ" (متى ٢١: ١١) هو أيضًا ابن داود؟ يبدو أن هذا هو السؤال الأهم على الإطلاق. وفي حقيقة الأمر، عندما نسأل: "مَنْ هو ابن داود هذا؟" سنكتشف الكثير من الأسباب التي تدفعنا إلى أن نسبِّح الرب.

التاريخ

وردت عبارة "ابن داود" في كلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد. في العهد القديم، كانت هذه العبارة تشير دائمًا إلى سليمان، أو إلى واحدٍ من أبناء الملك داود الآخرين بحسب الجسد. لكن بحلول حقبة العهد الجديد، اتخذ هذا المصطلح معنى مختلفًا تمامًا. فعلى سبيل المثال، قال الرب يسوع في مرقس ١٢: ٣٥ «كَيْفَ يَقُولُ ٱلْكَتَبَةُ إِنَّ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنُ دَاوُدَ؟» وهذا يبيِّن أن الكتبة، الذين كانوا على دراية جيدة بالشريعة اليهودية والأسفار المقدَّسة، كانوا يساوون بين لقب "ابن داود" وبين المسيح، أي المسيا. صحيح أنهم لم يؤمنوا بأن يسوع هو المسيّا، لكن يمثِّل فهمهم للمصطلح بهذه الطريقة أهمية. ويبيِّن المقطع الموازي لهذا في متى ٢٢ أن الفريسيين أيضًا كانوا يتبنُّون هذا الفهم للقب. فعندما كلَّمهم الرب يسوع، سألهم قائلاً: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي ٱلْمَسِيحِ؟ ٱبْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ٱبْنُ دَاوُدَ»" (متى ٢٢: ٤٢).

كما ذكرنا آنفًا، لا توجد أيُّ نصوص في العهد القديم تنسِب إلى المسيّا لقب "ابن داود" بهذا اللفظ تحديداً. وبالتالي، فإن أيَّ قارئ للكتاب المقدس سيطرح السؤال التالي: "من أين أتى الكتبة والفريسيون بتلك الفكرة؟" الإجابة هي أن الله أعطى في العهد القديم كمًّا وافرًا من الوعود التي تربط نسب المسيا ببيت داود. ويُعَد المقطع الذي جاء في ٢صموئيل ٧ بمثابة نقطة انطلاق رائعة لتأكيد هذه الحقيقة. في ذلك النص، وعد الله بأن ابن داود هو الذي سيبني الهيكل. كانت هذه إشارةً إلى سليمان. لكن الله

أضاف قائلاً: «وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ» (٢صموئيل ٧: ١٣)، وهو ما يشير ضمنًا إلى ملكٍ أعظم كثيرًا من سليمان.

عزَّزت نصوص نبوية أخرى هذا الاعتقاد. ففي المزمور ١٣٢، أكَّد اللّه وعده لداود قائلاً: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ ... فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى ٱلْأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ» (مزمور ١٣٢: ١١-١٢). ثم نقرأ بعد ذلك ببضعة آيات أن «قَرْن دَاوُدَ» سينبت، وأن «المسيح» (الممسوح)، أي المسيّا، سوف «يُزْهِرُ» (مزمور ١٣٢: ١٧-١٨).

وفي إشعياء ٩، يُذكَر أن هذا الآتي سيُدعى اسمه «إِلَهًا قَدِيرًا»، وسيجلس «عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ» (إشعياء ٩: ٦-٧). كما وعد اللّه في إشعياء ١١ بأن غصنًا سينبت من أصل يسى، الذي هو أبو داود. ثم في إرميا ٢٣، قال اللّه: «أُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ» (إرميا ٢٣: ٥). وأكَّد اللّه أن «غُصْنَ ٱلْبِرِّ» هذا سوف يمنح يقينًا في أنه «لا يَنْقَطِعُ لِدَاوُدَ إِنْسَانٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ» (إرميا ٣٣: ١٥، ١٧).

تبيِّن هذه النصوص النبوية، وغيرها أيضًا، أن اللّه لطالما قَصَد لكرسي داود أن يدوم، ليس فقط بالمعنى البشري، بل بالمعنى المسياوي أيضًا. فإن الملك العظيم العتيد أن يأتي، الممسوح من اللّه، سيَحكُم أخيرًا بالبر، ويستعيد العلاقة بين الشعب واللّه. علاوة على ذلك، سيكون ذلك الملك من نسل داود. ليس من الصعب علينا إذن أن ندرك سبب فهم الكتبة والفريسيين للقب «ابن داود» على أنه مصطلح مسياوي.

المجيء

ومع ذلك، بالنسبة للأمة اليهودية، كان هناك فرق شاسع بين الإيمان بأن المسيح، ابن داود، سيأتي يومًا ما، وبين الاعتراف به عند مجيئه بالفعل! إلا أن أتباع الرب يسوع رأوا وصدَّقوا الحقيقة المختصة به. فقد كان حقًّا هو

المسيا الموعود به، والحاكم الملكي الذي سيجلس بموجب حقٍّ شرعيٍّ على كرسي داود.

في العهد الجديد، اقتصر ذكر المصطلح «ابن داود» على الأناجيل الأربعة. وقد استُخدِم ١٤ مرة - أي ضعف رقم الكمال! – في إشارة إلى الرب يسوع. تذكَّر أن الرقم ٧ في الكتاب المقدس يشير إلى الكمال أو الاكتمال. وفي حين أن الأناجيل الإزائية الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) تدعو جميعها الرب يسوع باسم «ابن داود»، كان هذا المنظور الملكي عن الرب يسوع هو محور إنجيل متى على وجه الخصوص. ففي هذا الإنجيل، وُصِف الرب يسوع في الآية الأولى بأنه «يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِ دَاوُدَ». ربما نتذكر أن متى كان فيما سبق عشارًا لصالح الحكومة الرومانية. لكن عندما اجتاز الرب عند مكان الجباية الخاص به، وقال له: «ٱتْبَعْنِي»، «تَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ» (متى ٩: ٩؛ لوقا ٥: ٢٧-٢٨). فقد تعرَّف متى على سيِّد سلطانه أعظم من سلطان قيصر. ولذلك، يليق جدًا بمتى أن يكون هو الشخص الذي يستخدمه الروح القدس ليكتب إنجيل الملك، ابن داود.

يسجل لنا إنجيل متى سبعة مواقف مختلفة، تساءل فيها الناس عمَّا إذا كان يسوع هو حقًّا ابن داود. الموقف الأول والثاني متصلان بأعمال يسوع المعجزية. ففي متى ٩، التمس أعميان من يسوع الرحمة والشفاء، ودعياه «ابن داود». (متى ٩: ٢٧). ويخبرنا متى ١٢ عن شفاء يسوع لإنسان مجنون (به روح شرير)، وأعمى، وأخرس. وعندئذ، تساءل الجمع قائلاً: «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ٱبْنُ دَاوُدَ؟» (متى ١٢: ٢٣). فقد كانوا يَعلَمون أن ابن داود الآتي سيكون هو المسيا، وسيصنع أعمال قوة وتحرير (إشعياء ٢٩: ١٨-١٩؛ ٣٥: ٤-٥؛ ٦١: ١). ويبيِّن إنجيل متى أن الشعب تمكَّنوا من أن يرصدوا في وسطهم تلك البراهين على حضور الله الملكي وسلطانه.

وما يمثِّل أهمية كبيرة هو أن متى ١٢ هو أيضًا الأصحاح الذي رفض فيه رؤساء الشعب ذلك السلطان. فعندما سمع الفريسيون أن الجموع يتكلمون عنه هكذا، قالوا: «هَـذَا لا يُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ إِلا بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ ٱلشَّيَاطِينِ» (متى ١٢: ٢٤). كانت هذه من أبشع اللحظات في تاريخ الأمة. فأولًا، كان هذا تصريحًا مليئًا بالازدراء. فإن دعوة يسوع «هذا»، دون ذكر اسمه، كانت محاولةً من الفريسيين للتقليل من شأن يسوع، ونبذ أيِّ فكرة عن تمتُّعه بأي سلطان.

كذلك، مع أن معجزة الشفاء لم تكن قابلةً للإنكار، نسبها الفريسيون إلى قوة الشيطان. ولم يكن تصريحًا كهذا فقط غير منطقي تمامًا، كما أوضح الرب نفسه (متى ١٢: ٢٥-٢٧)، لكن بإدلاء هؤلاء بمثل هذا التصريح، جلبوا دينونةً على أنفسهم، لأنهم بهذا رفضوا عمل الله، وجدَّفوا على الروح القدس (متى ١٢: ٢٨-٣٢). ومن ذلك الوقت فصاعدًا، أصبح أتباع يسوع الحقيقيون وحدهم هم الذين يُحسَبون إخوته (متى ١٢: ٤٦-٥٠).

ورد الاستخدام التالي لمصطلح "ابن داود" في متى ١٥، حيث صرخت امرأة أممية إلى يسوع لأن ابنتها كانت بحاجة إلى التحرُّر من روح شرير. لكنَّ هذا اللقب لم يكن يخص الأمم. فإن الرب يسوع، كونه ابن داود، هو ملك اليهود، وليس الأمم؛ ولهذا لم يجب يسوع هذه المرأة في المرة الأولى. لكن، عندما سجدت المرأة ليسوع ببساطة، بصفته ربًّا، استجاب لها برحمة، وشفى ابنتها، وامتدح إيمانها العظيم (متى ١٥: ٢١-٢٨).

شهادة إضافية

تكدَّست إشارات إنجيل متى الأربع الأخرى إلى المسيح بلقب ابن داود قرب نهاية حياة الرب. فبينما كان يسوع في طريقه إلى أورشليم، صرخ إليه أعميان مرارًا وتكرارًا قائلَين: «ٱرْحَمْنَا يَاسَيِّدُ، يَا ٱبْنَ دَاوُدَ!» (متى ٢٠: ٣١). ومن

المثير للاهتمام أن هذه كانت المرة الثالثة (في إنجيل متى) التي شفى فيها الرب يسوع عميانًا، بصفته ابن داود (انظر متى ٩: ١٢؛ ٢١: ١٤).

ثمة نقطة أخرى مثيرة للاهتمام تتعلق بهذه الواقعة، وهي أنه في إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، ذُكِر أنه كان هناك أعمى واحد فحسب، وهو بارتيماوس (مرقس ١٠: ٤٧؛ لوقا ١٨: ٣٩). لكنَّ هذا لا يعتبر تناقضًا مع رواية متى عن الأعميين. فمن المحتمل أن بارتيماوس كان معروفًا أكثر لدى قراء إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، ولهذا ركَّزا عليه، رغم شفاء أعمى ثانٍ آنذاك أيضًا. أو ربما قاد الروح القدس متى إلى أن يشمل كلا الرجلين، لأن إنجيل متى كان موجَّهًا إلى اليهود، ووفقًا لشريعة موسى، يجب أن يكون هناك دائمًا شاهدان أو ثلاثة شهود على واقعةٍ ما، وليس شاهدًا واحدًا فحسب (تثنية ١٩: ١٥). أيًا كان السبب، نستطيع أن نتيقن من أن روح الله سجَّل الحقَّ بصدق في كلِّ الأحوال.

نأتي بعد ذلك إلى دخول الرب الانتصاري إلى أورشليم الذي تناولناه سابقًا (متى ٢١: ٩). يا له من مشهد مهيب، عندما هتفت الجموع ليسوع قائلين: «أُوصَنَّا!»، ومعناها "خلِّصنا الآن!". وقد كان يسوع هناك بالفعل ليخلِّصهم، إلا أن ذلك الخلاص كان سيتحقَّق بواسطة الصليب، وليس عن طريق فرض يسوع سلطته الملكية في ذلك الوقت. ومع ذلك، كان من اللائق أن يقدِّره الشعب هكذا. ويخبرنا إنجيل لوقا بأن الفريسيين اعترضوا حتى على قبول الرب لهذا اللقب الملكي، فطالبوه قائلين: «اُنْتَهِرْ تَلامِيذَكَ!»، لكن يسوع أجابهم بأنه حتى «اَلْحِجَارَةُ» ستصرخ إن سكت الشعب (لوقا ١٩: ٣٩-٤٠).

ثم يسجل لنا إنجيل متى لحظة شاعرية فريدة من نوعها. فبعد دخول يسوع أورشليم بوقت قليل، طهَّر الهيكل بطرد الباعة والصيارفة.

وهناك، جاء إليه العمي والعرج ليشفيهم، ثم أحاط به الأولاد، وكانوا يصرخون قائلين: «أوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!» (متى ٢١: ١٥). يا لجاذبية هذا المشهد الذي حدث في الهيكل! فقد طرد الرب بسلطانه كلَّ ما هو نجس من الهيكل، لكنه قبل برحمته أولئك الذين بدوا ضعفاء وعديمي الأهمية. ومرة أخرى، رفض رؤساء الشعب، من ذوي النفوذ والسلطة، سلطان يسوع، إذ غضب الكهنة والكتبة عندما سمعوا لقب "ابن داود" يُنسَب إلى يسوع. لكنَّ يسوع أكد أن هؤلاء الصغار قدَّموا له التسبيح الأمثل (متى ٢١: ١٥-١٦).

ثم نأتي إلى مواجهة يسوع الأخيرة مع رؤساء اليهود في متى ٢٢. فبعد وقوع أحداث الأصحاح السابق لهذا بنحو يوم أو يومين، عاد الرب إلى الهيكل، وطرح على الفريسيين سؤالًا، قائلًا: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي ٱلْمَسِيحِ؟ ٱبْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ٱبْنُ دَاوُدَ»" (متى ٢٢: ٤٢). كان جوابهم صحيحًا إلى حدٍّ ما. ومع أنهم لم يؤمنوا بأن يسوع هو المسيح، فإنهم أقرُّوا بأن المسيّا سيُدعَى ابن داود. إلا أن تفسيرهم كان ناقصًا، وأجبرهم الرب يسوع على أن يعيدوا النظر فيه، إذ أشار إلى أنه في المزمور ١١٠: ١، دعا داود المسيا «رَبِّي»، ثم أكَّد لهم الفكرة بقوله: «فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ٱبْنَهُ؟» (متى ٢٢: ٤٥). يتماشى هذا مع نبوة إشعياء١١، حيث لم يكن المسيا فقط غصنًا من أصول يسَّى، بل أيضًا أصل يسَّى (إشعياء ١١: ١، ١٠). وبالتالي، فإن ابن داود هو أيضًا الرب والسيد المجيد!

ومن المذهل أن الرب يسوع انتظر حتى هذه المرحلة من خدمته ليطرح هذا السؤال على الفريسيين. كذلك، كانت هذه هي المرة الأخيرة التي يلقَّب فيها بابن داود خلال حياته على الأرض. وبحلول تلك المرحلة، كانت قد صارت أمام الفريسيين العديد من الشهادات على ادعائه المُلك. فقد كان لدى الفريسيين كل الأسباب التي تجعلهم يدركون حقيقة يسوع. إلا أنهم

حولوا تصريحه الصادق هذا إلى اتهام باطل يوجِّهونه ضده، قائلين للوالي الروماني إنه يشكِّل تهديدًا على قيصر (لوقا ٢٣: ٢). وكان هذا حَسَدًا خالصًا من جانبهم (متى ٢٧: ١٨)، لأن أولئك الرؤساء كانوا يهتمون فقط بمكانتهم (موضعهم) وأمَّتهم (يوحنا ١١: ٤٨). لذلك، يُظهِر رفضهم النتيجة الوحيدة الممكنة لإغماض الناس أعينهم عن مجد الرب يسوع المسيح ونعمته. ومع ذلك، يسطع مجد الرب حتى عندما يُرفَض!

فرصتنا الحالية

إن المؤمنين اليوم أتوا من كلِّ أمة، وبالتالي، لا تعتمد علاقتنا بالرب على دوره بصفته ابن داود على بيت إسرائيل. ومع ذلك، يظل بإمكاننا أن نقدِّر هذا الجانب من مجد الرب يسوع. ففي الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا، قال الرب يسوع: «أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ» (رؤيا ٢٢: ١٦). تذكَّر جيدًا أن نبوة إشعياء وصفته أولاً بالغصن، ثم بالأصل (إشعياء ١١: ١، ١٠). لكن بالنسبة لنا، نحن الذين نعيش في زمن العهد الجديد، يوصَف الرب يسوع أولاً بأنه الأصل. وهو بالحقيقة قبل كلِّ شيء.

وأولئك الذين يسعون، نظير الفريسيين، وراء السلطة والنفوذ في هذا العالم، سيظلُّون يرفضون مُلك المسيح على قلوبهم. لكن، دعونا بالأحرى نتمثَّل بمتى، ودعونا ننبذ كلَّ سلطة أرضية دنيا، ونقدِّم ولاءنا للمسيح، ونَتبعه.

المسيح ابن داود

إنجيل متى

يبدأ إنجيل متى بهذه الكلمات: «كِتَابُ مِيلادِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِ دَاوُدَ ٱبْنِ إِبْراهِيمَ» (متى ١: ١). تمدُّنا أيُّ سلسلة نسب (كتاب ميلاد) بقائمةٍ بأسلاف الشخص الموصوف، تسهم في فهم أصله وخلفيته. الكلمة اليونانية التي تُرجِمت هنا "مِيلادِ" معناها أيضًا "سلسلة نسب"، وهي تُترجم هكذا أحيانًا في الكتاب المقدس. علاوة على ذلك، هذه الكلمة جاءت اسمًا لأول سفر في الكتاب المقدس، وهو سفر التكوين.

اسم "يسوع" هو الترجمة الصوتية (أي كتابة الكلمة في لغتنا كما تُنطَق في اللغة الأخرى) للكلمة اليونانية "إيسوس"، التي تمثِّل الاسم العبري "يشوع". أما "المسيح"، فهي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية "كريستوس"، ومعناها "الممسوح"، كما هو الحال من جهة كلمة "مسيّا" في العهد القديم العبري (مزمور ٢: ٢، على سبيل المثال). نتذكَّر أن الكاهن الذي من بيت هارون كان يُمسَح من أجل أداء خدمته الكهنوتية، في سن الثلاثين في المعتاد (خروج ٢٨-٢٩). وفي بعض الأحيان أيضًا، كان النبي

يُمسَح عند بدء خدمته المعطاة له من اللّه. وكذلك الملك الذي أعطاه اللّه ليَحكُم شعبه بعد إخفاق الكهنة. اختار اللّه شاول أولًا ملكًا (١صموئيل ١٠: ١). لكنه للأسف أخفق كملكٍ، لأنه سعى وراء الرغبات البشرية. لكن لم يكن الأمر كذلك في حالة داود. لأنه أصبح ملكًا حسب قلب اللّه (١صموئيل ١٦: ١-١٣). مع أنه كانت لديه سقطاته الخاصة أيضًا. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ الاختلاف الكبير في الأدوات التي استُخدِمت لمسح هذين الملكين. ففي حالة شاول، استخدم صموئيل "قنينةً"، كانت سهلة الكسر؛ بينما في حالة داود، أرشد اللّه نبيَّه إلى أن يمسحه مستخدمًا "قرنًا"، وهو رمز للقوة غير القابلة للكسر (١صموئيل ١٦: ١).

بالعودة إلى متى ١، كان معنى اسم "ابراهيم" هو "أب لجمهور كثير"، وذلك لأن اللّه جعله أبًا للشعب العبراني. لذلك، دُعي يسوع «ٱبْنِ إِبْرَاهِيمَ» (متى ١: ١). وإذ كان هناك احتياج لقوة ملكٍ، من أجل تتميم خطط اللّه لشعبه، دُعي يسوع أيضا "ٱبْنِ دَاوُدَ"، الذي معنى اسمه "المحبوب".

من المذهل أن سفر المزامير يبدأ بوصف الإنسان الذي حسب قلب اللّه، بدعوته "مبارَكًا" (طوبَى)؛ ولماذا؟ لأنه «لمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ ٱلأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ ٱلْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ» (مزمور ١: ١-٣). تدل هذه الأفعال على تصاعُدٍ في شدة التأثُّر بالشر. وهو السمة التي تميِّز البشر. في المقابل، كان يسوع منفصلاً تمامًا عن كل شر؛ ومع ذلك، كان متاحًا دائمًا، بحيث يمكن لأيِّ شخص، مهما كانت حاجته، أن يقترب إليه. فإنه لم يساوم قط في أيِّ حق من حقوق اللّه، لكنه في الوقت نفسه كان يُعِين الكثيرين ويهتم بهم. فقط شخص واحد عبر تاريخ البشر بأكمله هو الذي يطابق تمامًا تلك الصورة التي رسمها المزمور. فإن ربَّنا يسوع المسيح هو ذلك الرجل المبارَك (المطوَّب)!

فهل تعرفه؟ وهل تحبه؟

سفر راعوث

تمدُّنا قصة الحب الرائعة بين بوعز وراعوث ببعض الفهم لكيفية تتميم اللّه خططه لشعبه. إذ دبَّر لهم المَلِك الذي هو حسب قلبه. مثلما نقرأ في ختام راعوث ٤.

«فَأَخَذَ بُوعَزُ رَاعُوثَ ٱمْرَأَةً وَدَخَلَ عَلَيْهَا. فَأَعْطَاهَا ٱلرَّبُّ حَبَلًا فَوَلَدَت ٱبْنًا. فَقَالَت ٱلنِّسَاءُ لِنُعْمِي: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي لَمْ يُعْدِمْكِ وَلِيًّا ٱلْيَوْمَ لِكَيْ يُدْعَى ٱسْمُهُ فِي إِسْرَائِيلَ. وَيَكُونُ لَكِ لإِرْجَاعِ نَفْسٍ وَإِعَالَةِ شَيْبَتِكِ. لأَنَّ كَنَّتَكِ ٱلَّتِي أَحَبَّتْكِ قَدْ وَلَدَتْهُ، وَهِيَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ سَبْعَةِ بَنِينَ. فَأَخَذَتْ نُعْمِي ٱلْوَلَدَ وَوَضَعَتْهُ فِي حِضْنِهَا وَصَارَتْ لَهُ مُرَبِّيَةً. وَسَمَّتْهُ ٱلْجَارَاتُ ٱسْمًا قَائِلَاتٍ: قَدْ وُلِدَ ٱبْنٌ لِنُعْمِي وَدَعَوْنَ ٱسْمَهُ عُوبِيدَ. هُوَ أَبُو يَسَّى أَبِي دَاوُدَ. وَهَذِهِ مَوَالِيدُ فَارَصَ: فَارَصُ وَلَدَ حَصْرُونَ، وَحَصْرُونُ وَلَدَ رَامَ، وَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ، وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ، وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ، وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ، وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ، وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى، وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ» (راعوث ٤: ١٣-٢٢).

الكلمة الأخيرة في سلسلة الأنساب المختصَرة هذه هي مفتاح سفر راعوث، لأن السفر كلَّه يتعلق بداود، المحبوب. وهذا يعلِّمنا درسًا مهمًّا اليوم، وهو أننا ينبغي ألا نركِّز على القضايا السياسية أو الاجتماعية، بل بالأحرى على كيفية تجاوُبنا مع الربِّ يسوع! فهل تعرفه مخلِّصًا؟ إذا كانت إجابتك نعم، فهل تُكرِمه ربًّا أيضًا؟

نبوة إشعياء

لنتأمَّل فيما كتبه إشعياء النبي: «اَلشَّعْبُ ٱلسَّالِكُ فِي ٱلظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. ٱلْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. أَكْثَرْتَ ٱلأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا ٱلْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَٱلْفَرَحِ فِي ٱلْحَصَادِ. كَٱلَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً. لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ. لأَنَّ كُلَّ سِلَاحِ ٱلْمُتَسَلِّحِ فِي ٱلْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ

مُدَحْرَجٍ فِي ٱلدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلاً لِلنَّارِ. لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ٱبْنًا، وَتَكُونُ ٱلرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى ٱسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ ٱلسَّلامِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلامِ لا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِٱلْحَقِّ وَٱلْبِرِّ، مِنَ ٱلآنَ إِلَى ٱلأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ ٱلْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا» (إشعياء ٩: ٢-٧).

أعطى الله إشعياء النبي أن يكتب هذه النبوَّة الرائعة. وهي تقدِّم لنا دروسًا مهمة اليوم، فيما ترسم صورة نبوية للعالم الآتي، عندما يملك المَلِك الذي اختاره الله. ففي الوقت الحالي، هذا الشخص، الذي هو ابن داود، لا يزال خفيًّا عن أنظار هذا العالم، لكننا مع ذلك نراه الآن بالفعل «مُكَلَّلًا بِٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَامَةِ» (عبرانيين ٢: ٩). وقد تنبَّأ هذا النبي نفسه في جزء سابق عن ذلك المجد (إشعياء ٦: ١-٧). لكن، كان ينبغي أن يُرفَض هذا المسيا من شعبه (إشعياء ٦: ٩-١٣). وإن موضوع قساوة شعب إسرائيل يمثل أهمية كبيرة، حتى أن الكتاب المقدس أشار إليه نحو سبع مرات. يصف متى ١٢ عظمة الرب يسوع، الذي هو أعظم من السبت، وأعظم من يونان، وأعظم من سليمان. ومع ذلك، رُفِض الرب من شعبه!

وماذا عنا اليوم؟ فإذا قسَّينا قلوبنا ورفضنا الرب، ستكون لذلك تبعات خطيرة في الحاضر والمستقبل أيضًا. ليت قلوبنا إذن تكون حساسة، وليتنا لا نتصرَّف بعناد، بل نتواضع تحت يدي الله (١بطرس ٥: ٦-١١).

«فَإِنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ ٱلسَّبْتِ أَيْضًا» (متى ١٢: ٨)

"رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي ٱلدِّينِ مَعَ هَذَا ٱلْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا!" (متى ١٢: ٤١)

«مَلِكَةُ ٱلتَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي ٱلدِّينِ مَعَ هَذَا ٱلْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي ٱلأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا!» (متى ١٢: ٤٢)

ابن داود

في الكتاب المقدس، نجد بعض الأسماء المميَّزة جدًا التي تخص ربَّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. على سبيل المثال، يُستخدَم لقب «ابن الله» لتوضيح أن ربَّنا هو الله بحقٍّ، في شخص الابن؛ وهو اللقب الذي نجده بصفة خاصة في إنجيل يوحنا. كما يشدِّد لقب «ابن الإنسان» على ناسوت المسيح، وهو ما كان محور تركيز إنجيل لوقا. ربما ذُكِر هذان الاسمان للرب أكثر من غيرهما، ممَّا يسلط الضوء على أن ربَّنا هو الله مئة بالمئة، وإنسان مئة بالمئة. فإن لا مثلَ له!

كذلك، نجد لقب «ابن داود» في الأناجيل. فمنذ زمان بعيد، في عهد الملك داود، وعد الله داود بمملكة وكرسيٍّ يثبتان ويدومان إلى الأبد (١أخبار الأيام ١٧: ٤-١٥). وهذا الوعد بيَّن أن هذا سيكون بيت الله وملكوت الله: «فِي بَيْتِي وَمَلَكُوتِي» (١أخبار الأيام ١٧: ١٤). ومنذ قطع ذلك الوعد، صار معلومًا أن المسيا الآتي سيكون من نسل داود، أو سيكون «ابن داود».

إن الرب يسوع هو من نسل داود المباشر، والتتميم لهذه النبوة، والذي له حقُّ الجلوس على الكرسي الذي وعد به الله داود. وبصفته ابن داود، سيكون هو الشخص

المنتظَر لتتميم الوعود التي قُطِعت لبني إسرائيل، بصفته المسيا الآتي الذي سيخلِّص شعبه. ولقب «ابن داود» هو لقب خاص ببني إسرائيل.

ورد لقب «ابن داود» غالبية المرات في إنجيل متى، حيث يوصَف الرب بأنه المَلِك الآتي. وتكرَّرت عبارة "ابن داود" باللفظ عشر مرات في هذا الإنجيل، في سبعة نصوص محدَّدة. وسنتناول، بمعونة الرب، هذه النصوص، لنرى ما الذي يمكن أن نجنيه ونتعلَّمه من لقب مخلِّصنا هذا.

النص الأول: إعلان أنه «ابن داود»

منذ بداية إنجيل متى، أُعلِن أن ربَّنا هو «ابن داود» (متى ١: ١). وقد ذُكِر هذا اللقب حتى قبل ذكر نسب يسوع إلى إبراهيم، مع أن سلسلة النسب تبدأ عادةً من إبراهيم. وتلمح سلسلة النسب هذه، التي تسير عكس الاتجاه، إلى أن ربَّنا سيَظهَر ملكًا على العالم في يوم مستقبلي. أما في لوقا ٣: ٢٣-٣٨، فإن سلسلة النسب ترجع إلى الوراء مظهرة ناسوت يسوع، الذي يعود أصله إلى آدم، ثم إلى الله. واليوم أيضًا، نحن ننظر إلى الوراء لنرى سجلَّ ناسوت الرب يسوع الذي ظهر في مجيئه الأول، كما نتطلع إلى ذلك اليوم الذي سيُعترَف به ملك الملوك ورب الأرباب في مجيئه الثاني.

اسم "داود" في اللغة العبرية مكوَّنٌ فقط من ثلاث حروف - DVD - دون وجود أيِّ حرف متحرك. ولكلِّ حرف من هذه الحروف الثلاثة ما يكافئه من قيمة عددية. فالحرف D يساوي ٤، والحرف V يساوي ٦. وإذا أضفنا القيمة العددية لحروف الاسم الثلاثة معًا (٤+٦+٤)، سيكون الناتج ١٤. وهذا هو بالضبط العدد الكامل في قائمة أنساب متى ١، من إبراهيم إلى يسوع، وهي ثلاث مجموعات كلٌّ منها مكوَّن من ١٤ اسمًا! كم أنَّ ربنا فريد وكامل! فقد كانت المجموعات الثلاث المكونة من ضعف

الرقم ٧ (متى ١: ١٧) علامةً لليهود تُظهِر لهم أنه هو الآتي الموعود! فلا أحد غيره يستطيع تتميم سلسلة النسب الفريدة هذه.

في هذا النص نفسه، عندما أخبر الملاكُ يوسفَ في حلمٍ بهوية هذا الآتي، خاطب الملاك يوسف باسم «يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ» (متى ١: ٢٠). وبحسب الجسد، نَعلَم أن اسم والد يوسف المباشر هو يعقوب (متى ١: ١٦). إلا أن هذا التعبير الذي استخدمه ملاكُ الرب كان إعلانًا آخر عن مجيء الرب يسوع من النسل المَلَكي لداود، الذي كان يوسف جزءًا منه.

وفيما كان اليهود ينتظرون المسيا الآتي، كانوا يتذكَّرون الوعود الموجودة في سفر إشعياء: «لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلامِ لا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِٱلْحَقِّ وَٱلْبِرِّ، مِنَ ٱلآنَ إِلَى ٱلأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ ٱلْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا» (إشعياء ٩: ٧). كذلك، في الجزء الأول من إشعياء ١١: ١، نقرأ هذه الكلمات: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى». هذه النبوات، وغيرها أيضًا من نبوات العهد القديم، بيَّنت أن المسيا الحقيقي لا بد أن يأتي من نسل داود، الذي كان يسَّى أباه بالجسد (متى ١: ٦). وإننا نتعجَّب من كماله وكمال مجيئه بالارتباط بتلك النبوات المتمَّمة.

النص الثاني: الإيمان بابن داود

تبع رجلان أعميان الرب بعدما أقام ابنة رئيسٍ ما من الموت (متى ٩: ٢٧-٣١). ولا شك أنهما سمعا بهذه المعجزة، واستنتجا أنه لا بد أن يكون هذا هو الشخص الذي تنبَّأ النبي بأنه سيتمِّم ما هو مكتوب في إشعياء ٣٥: ٥-٦، «حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ ٱلْعُمْيِ، وَآذَانُ ٱلصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِزُ ٱلأَعْرَجُ كَٱلإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ ٱلأَخْرَسِ». ولهذا السبب، اغتنم الأعميان هذه الفرصة، وصرخا إلى الرب قائلَين: «ٱرْحَمْنَا يا ٱبْنَ دَاوُدَ!» (متى ٩: ٢٧).

هـذه صـرخة إيمـان. فقـد فهـم هـذان الـرجلان هويـة ذاك الـذي كـان في وسـطهم، وأدركـا أنـه قـادرٌ أن يشـفيهم. ثم تبعـه هـذان الاثنـان إلى مـنزلٍ، وهنـاك تكلَّـم الـرب إليهمـا، بعيـدًا عـن أعـين الجمـوع، وسـألهما إلى أيِّ مـدى يؤمنـان بـه حقًّـا. كـان هـذان الـرجلان اليهوديـان قـد أظهـرا بالفعـل قـدرًا مـن الإيمـان بـالرب يسـوع، بـدعوتهما إيـاه "بـن داود". لكـن إذ أراد يسـوع منهمـا أن يؤكِّـدا إيمانهمـا بقدرتـه علـى شـفائهما، سـألهما قـائلاً: «أَتُؤْمِنَـانِ أَنِّـي أَقْـدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟ قَالا لَهُ: نَعَمْ، يا سَيِّدُ!»" (متى ٩: ٢٨).

كـلا هـذين الـرجلين دعـا يسـوع: "يـا سَـيِّدُ" (يـا رب). ولـذلك، كـان لكـلٍّ منهمـا بحسـب إيمانـه، وشُـفِيا في الحـال بلمسـةٍ مـن الـرب. يـا للفرحـة العارمـة الـتي لا بد أن هـذين الـرجلين الأعميـين قـد شـعرا بهـا! فقـد كـان أول شـخص يبصـرانه هـو الـرب يسـوع! أظهـر هـذان الـرجلان إيمانـا كـاملاً في «ابـن داود». وهـذا درسٌ لنـا جميعًـا. فـإن البركـة تنبـع مـن إدراك حقيقـة الـرب يسـوع، والإقـرار بأنـه هـو الشـخص الـذي وعـد الله بأنـه سـيأتي. ليتنـا جميعًـا نقـول بالإيمـان: «نَعَـمْ، يـا سَيِّدُ!».

النص الثالث: التساؤل والرفض

بعـد ذلـك، نـرى الـرب يسـوع يشـفي إنسـانًا مجنونًـا (بـه روح شـرير)، وأعمـى، وأخـرس، أُحضِـر إليـه (مـتى ١٢: ٢٢-٣٠). تعجَّـب أولئـك الـذين كـانوا حاضـرين عنـدما أظهـر الـرب سـلطانه الإلهـي علـى الشـيطان، وعلـى الشـر الـذي فعلـه بهـذا الإنسـان، وتسـاءلوا في أنفسـهم: مَـن ذا الـذي يسـتطيع أن يشـفي إنسـانًا في هذه الحالة؟ أَلَعَلَّ هَـذَا هُـوَ ٱبْـنُ دَاوُدَ؟ نجـد هنـا مثالًـا آخـر لتـأثير عمـل الـرب في الـذين رأوه. فقـد فكَّـر الجمـع بالصـواب أن هـذا الشـخص الـذي شـفى الرجـل

قد يكون هو ابن داود. وربما أصبح بعضهم مؤمنين حقيقيين، مع أن الكتاب المقدس لم يعلن لنا ذلك.

في المقابل، نرى ردَّ فعلٍ من عدم الإيمان من الفريسيين، حيث نَسَبوا سلطان ابن داود الإلهي إلى الشيطان. هذه هي الخطية التي لن تُغفر، لأنها تجديفٌ على الروح القدس. فقد كان الروح القدس بصدد إثبات هوية الرب يسوع المسيح، عن طريق إظهار سلطانه الإلهي! لذا، لن يُغفَر لأي شخص يرفض هذا الإعلان. والدرس الذي نتعلَّمه اليوم من ذلك هو أننا ينبغي أن نؤمن بالرب يسوع المسيح، الذي أظهر سلطان الله وقوته.

عزيزي القارئ، أرجو أن تفهم أنه لا يكفي أن تتساءل وتتعجب، بل عليك أن تؤمن بالمسيح مخلِّصًا. فقد أعلن الرب يسوع أن شفاءه هذا الرجل كان إعلاناً بأن ملكوت الله قد أَقبَل! فما أُعلِن في ذلك اليوم هو الملكوت الذي يَحكُم الله فيه، والذي يغلب الشرَّ بالخير. وهذا تحذيرٌ لنا من عدم الإيمان. فلعدم الإيمان عواقب أبدية لا يمكن تغييرها بمجرد رحيل الإنسان عن هذه الحياة. «هُوَذَا ٱلآنَ يَوْمُ خَلاصٍ» (٢كورنثوس ٦: ٢). لذلك، آمن بالرب يسوع المسيح الآن، «مَا دَامَ يُوجَدُ» (إشعياء ٥٥: ٦).

النص الرابع: اسم خاص بشعب إسرائيل

في متى ١٥: ٢١-٢٨، نقرأ قصة امرأة كنعانية (أي أممية) طلبت من الرب أن يخلِّص ابنتها من الجنون، إذ كان بها شيطان. وحين تحدَّثت هذه المرأة إلى الرب، خاطبته بقلب "ابن داود"، طالبةً منه أن يرحم ابنتها (متى ١٥: ٢٢). قد يبدو بحسب الظاهر أن هذا الطلب لائقٌ للغاية، لأن تلك المرأة أبدت احترامًا للرب، وأظهرت إيمانًا بأنه هو الشخص الوحيد القادر أن يشفي

ابنتها. لكن، لأنها لم تكن من بني إسرائيل، كان من الخطأ أن تناديه "ابن داود"، لأن الذين من نسل إسرائيل وحدهم هم الذين يحقُّ لهم مخاطبته بهذا اللقب. ولذا، فإن الرب «لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ» (متى ١٥: ٢٣). لكن، استمرَّت المرأة في الصياح، حتى طلب التلاميذُ من الرب أن يصرفها.

وهنا أتى وقت الدرس، حيث أوضح الرب أنه أُرسِل «إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ» (متى ١٥: ٢٤). وإذ لم تَكُن المرأة ضمن هذه الجماعة، لن يؤدِّي أيُّ قدر من التوسل إلى نوالها استجابة، فقط إلى أن تتضع وتتذلل أمام الرب. وأخيرًا، نقرأ في متى ١٥: ٢٥ أنها «أَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!»" يا للروعة! فقد اتخذت هذه المرأة مكانها الصحيح، بصفتها خروفًا ضالًا من بين الأمم. فأجابها الرب موضحًا لها أن أولويته هي بني إسرائيل. وعندئذ، أظهرت المرأة مزيدًا من الاتضاع والإيمان، إذ قبلت كلامه، وأنزلت نفسها إلى مكانة متدنية للغاية، معترفةً بأنها كلبٌ يأكل الفتات المتساقط من مائدة السيد (انظر متى ١٥: ٢٦-٢٧).

وعندما سمع الرب اعترافها، تحنَّن عليها، واستجاب لمطلبها، بل ورفع أيضًا من شأنها، من «كلب» إلى «ٱمْرَأَةٌ»، معلنًا أيضًا أن إيمانها «عَظِيمٌ» (متى ١٥: ٢٨). ليتنا نتأمَّل في مثال هذه المرأة، ونقترب دائمًا إلى الرب بقلب متضع، مقرِّين بحقيقته، دون الخلط بين مقاصده من نحو إسرائيل، وبين مكانتنا عنده بصفتنا جزءًا من الكنيسة.

النص الخامس: شفاء أعميين آخرين

في متى ٢٠: ٢٩-٣٤، نقرأ أن الرب ذهب من أريحا إلى أورشليم. لا يسعنا سوى أن نرى هنا تشابهًا بين هذا الحدث وبين القصة التي رواها الرب عن

السامري الصالح في لوقا ١٠: ٣٠-٣٧. في تلك القصة، أولئك الذين كان بإمكانهم مساعدة ذلك الرجل في محنته لم يكونوا على استعداد لفعل شيء؛ بل في حقيقة الأمر، لم يرد الكاهن واللاوي أن يتورطا في الأمر. ثم سلَّط الرب الضوء على السامري الصالح، الذي يرمز إليه هو نفسه! فقد تحنن السامري الصالح، وساعد الرجل، فاعلاً أيضًا أكثر كثيرًا مما يكون معظم الناس على استعداد أن يفعلوه، حتى أنه دفع ثمن إقامته وطعامه إلى أن يتعافى تمامًا.

وفي متى ٢٠، بينما كان الرب يسلك ذلك الطريق نفسه بين أريحا وأورشليم، سمع أعميان على الطريق أنه مجتازٌ، فابتدآ يصرخان قائلين: «ٱرْحَمْنَا ياسَيِّدُ، يا ٱبْنَ دَاوُدَ!» (متى ٢٠: ٣٠). فانتهرهما الجمع ليسكتا، لكنهما صرخا أكثر كثيرًا مردِّدَين العبارة نفسها. عندما سمع الرب صراخهما، توقف. لا شك أن هذين الرجلين كانا من بيت إسرائيل، ولذلك كان من اللائق أن يناديا الرب "بن داود". ثم سألهما الرب ماذا يريدان. وفي الحال، تحنَّن الرب عليهما، واستجاب لطلبتهما، وشفاهما بطريقة معجزية عن طريق لمس أعينهما (متى ٢٠: ٣٤).

وما أن شفي الرجلان، تبعا يسوع. كم هذا مهم! فبعدما يُدخِلنا الرب في علاقة معه بواسطة الخلاص، يصير علينا أن نوجِّه أعيننا نحوه، ونتبعه لبقية حياتنا. بعدما شُفي الأعميان في متى ٩، نقرأ أنهما ذهبا، من فرط فرحهما، وأخبرا الآخرين بما صنعه الرب بهما. وعلينا نحن أيضًا أن نفعل ذلك. فإن تبعية المسيح والإخبار بالبشارة يجب أن يكونا نتاج استعادتنا بصرنا الروحي على يد الرب يسوع!

الحدث الذي يسمَّى "الدخول الانتصاري"، الوارد في متى ٢١: ١-٧، وقع خلال الأسبوع الأخير من حياة الرب يسوع على الأرض، قبل ذهابه إلى صليب الجلجثة ليموت لأجلنا. وفي هذا الحدث، تمَّم يسوع النبوة التي وردت في زكريا ٩: ٩، حيث دخل إلى مدينة أورشليم راكبًا على جحش لم يركبه إنسان من قبل، وأظهر أنه هو الملك الآتي، وسبَّحه الشعب وهتفوا له قائلين: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ ٱلآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي ٱلأَعَالِي!» (متى ٢١: ٩).

يرد منا الله، نجن شعبه، أن نسبِّحه ونحمده. فإننا يجب أن نعبده، ونعطيه المجد، لأنه تمَّم "أُوصَنَّا"، التي معناها "خلِّصنا"، بتقديم نفسه ذبيحةً على الصليب. وكان هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الخلاص، والغرض من مجيئه الأول. وبعدما قدَّم الرب يسوع نفسه، «رَفَّعَهُ ٱللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ ٱسْمًا فَوْقَ كُلِّ ٱسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِٱسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ ... وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ ٱللهِ ٱلآبِ» (فيلبي ٢: ٩-١١).

وفي هذا السياق نفسه، في متى٢١ :١٤-١٦، نقرأ أنه بعد دخول الرب الهيكل، شفى العمي والعرج الذين كانوا هناك. ونقرأ أيضًا أن الأطفال ابتدأوا يردِّدون العبارة التي كانوا قد سمعوها قبلاً في الطريق إلى أورشليم، قائلين: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!» (متى ٢١: ١٥). وكان هذا تتميمًا للنبوة القائلة: «مِنْ أَفْوَاهِ ٱلأَطْفَالِ وَٱلرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟» (متى ٢١: ١٦، نظر مزمور ٨: ٢).

كلُّ هذا أثار استياء رؤساء الشعب الدينيين، أي رؤساء الكهنة والكتبة. فلم يكن لهؤلاء أيُّ نصيب في المسيح، وهم سيُدانون على عدم إيمانهم.

يمكننا أن نتعلّم من ذلك درسًا مهمًّا، وهو أن الرب يشتاق إلى تسبيحنا، حتى إذا كنا لا نزال أطفالاً روحيين. كذلك، علينا أن نقدِّم له عبادتنا بغض النظر عن أيِّ مقاومة. أما غير المؤمنين، فإنهم يتجنّبون عبادة الرب، وهذا يُظهِر حقيقة حالتهم الروحية.

النص السابع: المرة الأخيرة

في متى ٢٢: ٤١-٤٦، نجد النص السابع والمناسبة الأخيرة التي استُخدِمت فيها عبارة "ابن داود" في هذا الإنجيل. كان الرب في حضرة الفريسيين، وهم مجموعة من الرؤساء كانت لديهم دراية جيدة بأسفار العهد القديم. كان هؤلاء يتباهون بمعرفتهم، ويَسعَدون دائمًا بإخبار الآخرين بما هو مطلوبٌ منهم، بحسب تفسيرهم الشخصي لشريعة موسى. استغلَّ الرب هذه اللحظة ليطرح على الفريسيين بعض الأسئلة البسيطة: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي ٱلْمَسِيحِ؟ ٱبْنُ مَنْ هُوَ؟"، فأجابوه بالصواب قائلين: "ٱبْنُ دَاوُدَ» (متى ٢٢: ٤٢). نرى هنا أنه يوجد فرق شاسع بين أن تكون لدينا المعرفة والقدرة على الردِّ بالصواب على الأسئلة المتعلّقة بالرب يسوع المسيح، وبين أن ندرك بالحكمة نتائج تلك المعرفة.

ثم تابع الرب حديثه معهم، مقتبسًا مقطعًا من مزمور ١١٠: ١، مفاده أن ابن داود سيأتي بعد داود، ومع ذلك دعاه داود وهو يكتب هذا المزمور "ربِّي"، ممَّا يشير إلى أن ابن داود كان سابقًا لداود في الزمن، وأنه كان رب داود. كيف يمكن أن يكون هذا؟ الإجابة على ذلك، بالتأكيد، هي أن ابن داود هو ابن اللهّ! فالمسيّا، أي ذلك الشخص الممسوح من اللهّ، أو المسيح، هو رب داود، لأنه لطالما كان كائنًا، وهو في الوقت نفسه ابن داود، أي من نسله بحسب الجسد.

أفحم هذا الكلام الفريسيين، فلم يستطيعوا أن يجيبوه، أو يطرحوا عليه أية أسئلة أخرى. ولذلك، أدانهم الرب في متى ٢٣. كان هؤلاء هم أنفسهم الذين رفضوا الرب يسوع في متى ١٢. فويل لكلِّ من لا يعترف بعظمة ابن داود! والدرس الذي نتعلَّمه جميعًا من ذلك هو أننا ينبغي أن نؤمن بالرب يسوع المسيح لأجل خلاصنا وبركتنا. وإذا لم نفعل ذلك، فإننا سوف نُدان يومًا ما، تمامًا مثل الفريسيين.

الخاتمة

رأينا فيما سبق العديد من النصوص والدروس التي تتعلَّق باللقب "ابن داود". فقد أُعلِن أن المسيح هو الشخص الموعود به في النبوات. وبهذا اللقب، شفى المسيح كثيرين، وأظهر تحنُّنه على رعيته كراعٍ، تمامًا مثلما كان داود راعيًا. وأكد الربُّ ألوهيته، بصفته ابن داود، عن طريق شفائه المرضى. وقبل أن يذهب إلى الصليب، كُرِّم من الجموع الذين دعوه أيضًا "ابن داود".

وفي يوم آت، سوف يَظهَر المسيح على عرشه، لينظره ويتعجَّب منه الكون بأكمله، بصفته ملك الملوك ورب الأرباب. وإننا نبتهج لأننا نستطيع أن ندرك الآن حقيقته بالإيمان، ونتطلَّع إلى ظهوره الآتي، عندما يأتي ليشغل مكانته اللائقة به في ملكوته على هذه الأرض. سبِّحوا الرب! آمين تعال أيها الرب يسوع!

المسيح الملك!

عند ولادته سأل حكماء (مجوس) من المشرق :«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» (مت ٢: ٢).

وعند موته كتب رومان من الغرب عنوان علته أنه «ملك اليهود» (مت ٢٧: ٣٧). وقبل ذلك بآلاف السنين قال الله عنه « «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي» (مز٣: ٦).

ولا شك أنه يجب أن يملك المسيح (١كو١٥: ٢٥). فهو وُلِد لكي يملك؛ ملكًا متميزًا تمامًا نظيرشخصه الفريد في كل شيء.

فهو ملك الملوك كلهم ورب الأرباب (١تيمو٦: ١٥).

والأوقات السعيدة التي فيها سيملك المسيح حرفيًا على العالم ألف سنة (رؤ ٢٠) ستكون أسعد أيام البشر بل والخليقة كلها.

ولكن ماذا عني وعنك قارئي العزيز؟ إنها حقيقة عملية مؤكدة. إنه حيثما يحل المسيح ملكًا تأتي البركة والسعادة. فهل ملكته على حياتك وقلبك بعد؟

إننا عندما نملكه ملكًا على قلوبنا وحياتنا؛ بل وبيوتنا وكنائسنا فنحن نختبر شيئًا غير بسيط من أفراح السماء ونحن على الأرض.

ليتك تقبله في قلبك الآن ربًا ومخلصًا وتسيده على حياتك كلها ملكًا ورئيسًا فهذا أحكم وأهم قرار لك على الإطلاق.

حياة بولس

دراسات مسلسلة

ف.ب.ماير

الفصل السادس عشر

«يعظم انتصارنا»

يعتبر ما تضمنته هاتان الآيتان من أعظم ما نطق به البشير. وإن أهميتهما لتزداد قيمة إذا ما عرفنا أن فيهما تلخص الاختبارات التي سبقت النطق بها مباشرة.

كان هذا قبيل انتهاء رحلته التبشيرية الثالثة. قبل ذلك بثلاث سنوات غادر أنطاكية سوريا للمرة الثالثة، بعدما صرف فيها زمانًا(أع١٨: ٢٣). لم يكن ممكنًا أن تستريح روحه النارية وسط التعزيات النسبية والراحة التي وجدها في الكنيسة القوية التي كانت تبني نفسها هناك، بل طاقت نفسه جدًا وحنت أحشائه لافتقاد تلاميذه في كل منطقة غلاطية وفريجية. لذلك، اجتاز مرة أخرى أبواب كيليكية، وصار وسط تلك الهضاب، يشدد جميع التلاميذ، متجهًا نحو ولاية آسيا الرومانية التي تقع في الجنوب الغربي من شاطئ البحر. لقد سبق أن مُنع من دخولها (أع١٦: ٦)، ولكنه تبين الآن بكل وضوح أن الباب مفتوح إليها. كما تبين من قبل أنه كان مغلقًا، هكذا قد يسمح بسلطانه المطلق أن يحرم أولاده من تحقيق احلامهم بسرعة، لكي يعودوا إليه ثانية عندما يحين الوقت المناسب. وعندما يزداد إعدادهم أيضًا. كانت اختبارات بولس في اليونان أنسب ما يمكن لإعداده للخدمة في هذه المنطقة المكتظة بسكانها، الضاربة بسهم وافر من المدنية. والتي مهدت السبيل للتبشير في كل المنطقة المجاورة، وتأسست تلك الكنائس السبع التي وجه إلهيا الرب المقام رسائله النهائية.

نزل الرسول أخيرًا إلى أفسس وفاء لوعد سبق أن ارتبط به. فإنه سبق أن قضى بها أحد السبوت في طريقه من كورنثوس إلى أورشليم، في تلك المناسبة، تأثر اليهود جدًا من خدمته

حتى أنهم ألحوا عليه ليقضـــي بينهن مدة أطول، ولكن كان مســـتحيلاً إجابة هذا الطلب بسبب ضرورة التعجل إلى أورشليم لإيفاء نذره. ولذلك، فإنه لدي استئذانه منهم، قال لهم «وَلكِنْ سَأَرْجِعُ إِلَيْكُمْ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ» (أع١٨: ٢١). وإيفاء لهذا الوعد، نرى الرسول يزور الآن عاصمة آسيا الصغرى.

حدثت في تلك الفترة حوادث كثيرة، وإذ ذكرها كاتب ســفر الأعمال. كشــف لنا عن الســر في منع الرســـول عن الزيارة الأولى، فإن أبولس الخطيب الإســـكندري المفوه، كان قد زار المدينة والتقي هنالك بصديقي بولس(اكيلا وبرسكيلا - اللذين كانا في انتظار عودة زميلهما بولس)، وهذان أخذاه إليهما، وشـــرحا له طريق الرب أكثر تدقيقًا. وكانت النتيجة أن خدمته صـــارت أكثر إنتاجًا، سواء بمساعداته الكثيرة الذين كانوا قد آمنوا، أو إفحام اليهود بشدة. لقد قلب سلاح المحراث الأرضي الصلبة، وأعد التربة لتفليح بولس العتيد (أع١٨: ٢٤-٢٨).

على أن بولس الآن غادر أفسس إلى كورنثوس، وأقبل بولس لاستئناف وتوسيع العمل الذي كان بدأ بنجاح. ولعله لدي دخوله أفسس، لم يكن يعرف كم من الزمن كان يجب أن يقضيه بها، ولم يكن يعرف أيضًا النتائج الباهرة من إقامته فيها. كان يكفيه أن يعلم - كما كتب فيما بعد لمؤمني أفســـس- أن الطريق ممهد أمامه. ولكن لم يكن أحد يعلم إن كان هذا الطريق سهلاً أم وعرًا، سوي ذلك الذي كان يعبره.

والواقع أن خدمته هناك، كانت صـــراعًا من البداية إلى النهاية، كان تعليقه عليها بعد نهايتها: «قَدْ حَارَبْتُ وُحُوشًا فِي أَفَسُسَ» (١كو١٥: ٣٢). وهنا أيضًا نراه - وهو بعد اختباراته- يشبهها بساحة حربية، ويشبه نفسه بجندي محارب، فيصرخ قائلاً: «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ . وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا». في هذه الكلمات التي بعث بها إلى رومية من كورنثوس عقب انتهاء خدمته في أفســـس. إذ كانت ذكريات اختباراته فيها لا تزال جديدة في ذهنه، نراه يعطي فكرته عن الموقف كله.

١. ساحة الحرب:

كانت هنالك صـــعوبات ليواجهها، يجب أن توضـــع نصـــب أعيننا، إن أردنا أن ندرك عظمة انتصاراه الذي احرزه بنعمة المخلص الحي.

فأولاً: كان هنالك ضغط الجموع البشرية الغريبة التي كانت مصالحها وأغراضها وطرق تفكيرها غريبة عنه. لا يمكن لأي إنسان أن يقف وحيدًا وسط بنارس (ببلاد الهند)، تحيط بها الجماهير الوثنية، الذين يقدمون عبادتهم على شاطئ نهر الجنح، أو يصعد ألوف سلالم هياكلها الرخامية الممتدة بمحاذاة النهر، دون أن يشعر بالوحشة والعزلة. إن حياة المرء بمفرده لتبدو تافهة وحقيرة جدًا إذ يقف متأملاً قرب نهر النيل العظيم وسط الأهرامات العظيمة القديمة. وتحت تلك الأعمدة التي تحفل بها الهند. من هو "بولس؟" وما هو وسط هذه الكثرة الساحقة؟ وكيف يبقي له أي رجاء ليغير عوائدهم أو طرق معيشتهم؟ هذا أعسر من أن يغير مجرى النهر القديم أكان هذا هو شعور بولس إذ قضى الاسابيع الأولي في أفسس؟

وفضلاً عن هذا، فقد كانت هنالك العبادة المنظمة تنظيمًا محكمًا، والتي تركزت في هيكل ديانا؛ فقد قيل أن تمثالها هبط من زفس (ولعله جسم نيزكي)، فاحتفظ به في هيكل، واعتبر أحد أعاجيب الدنيا. وقد ساعد على إعطائه أهمية خطيرة الشأن جدًا، عظمة الثروة التي لا تُحصى التي كانت تُحضر إليه، وبدائع الفنون البشرية، وفخامة الطقوس التي تُمارس فيه. وهيأت الأباطير والملوك السخية والخدمات التي كان يقوم بها ألوف الكهنة و الكاهنات. كان أيسر على مبشر بروتستانتي متواضع، أن يدخل شوارع رومية ويُحقر من شأن كنيسة القديس بطرس، أو يقلل من عدد الجماهير الفقيرة التي تفد إليها، من أن يرجو بولس أن يكون لإقامته في أفسس أقل أثر على عبارة ديانا؛ وفضلاً عن هذا، فإن العالم كله كان يعرف بأن مدينة الافسسين، كانت حارسة لهيكل ديانا، وللتمثال الذي هبط من زفس (أع١٩: ٣٥)ـ ولذلك، فقد كانت حريصة على الانتقام من أقل تحقير يلحق به..

بجا نب الهيكل راجت تجارة عظيمة في الاحجبة والتعاويذ... فقد كان كل من يأتي من الجماهير الخفيرة للعبادة في الهيكل، يحرص على أن يعود يتذكر لزيارته سيما وقد اعتقدوا أن هذا التذكار يحميهم من الشرور والأرواح الردية التي كان الجميع يفزعون منها بصفة مستمرة. لابد أن التجارة في هذه البضاعة كانت رائجة جدًا، وإلا لما أمكن أن يكون صناع الفضة بهذه الكثرة حتى يملأوا المدينة كلها اضطرابًا، الأمر الذي استدعى تدخل كاتب المدينة. كانت صناعة تلك التماثيل المصفرة، التي قام بها ديمتريوس ورفاقه، منتشرة انتشارًا كبيرًا جدًا، كان يبدو مستحيلاً لفرد واحد، لا يستعمل سوى الأسلحة الأدبية والروحية، أن يقوم بأي تغيير في هذه الصناعة القديمة الواسعة الانتشار في ظرف ثلاث سنوات.

بل وأكثر من هذا وذاك، أن أفسس - كغيرها من المدن المكتظة بالسكان المختلفة الجنسيات- كانت قد انتشرت فيها مهنة السحر والعرافة، فإن اليهود والخوارج كانوا قد حذقوا في مثل هذه الأمور، وكانوا يستدعون أسماء رمزية على من تملكت عليهم الأرواح الشريرة، وحتى اللذين اعتنقوا المسيحية، وجدوا أنه من العسير الإقلاع عن ممارستهم السابقة لهذه المهنة، فجمعوا كتبًا بما لا يقعل عن ألفي جنية، ليس أمرًا يسيرًا التأثير على أمة من المتوحشين للإقلاع عن السحر والعرافة، والرجوع إلى الأراء السليمة عن الحياة، وعن العناية الإلهية. ولكن الأعسر من هذا، إنقاذ مدينة كبيرة كأفسس من مثل هذه السموم. كان الشعب يحددون أيام الزواج وأوقات السفر والتزاماتهم التي يجب أن يرتبطوا بها، والأعمال التجارية التي يريدون الشروع فيها، بعد الالتجاء إلى العرافين والسحرة والمنجمين. ولذا، فقد كانت مهمة شاقة جدًا محاربة عاداتهم المتأصلة.

ولكن لعل ألد عدو لبولس، كان المجمع اليهودي الذي زادته قساوة عاداته القديمة، وإصراره على عدم الإيمان، وكانوا عصاة متمردين، وشتموا «الطريق» أمام الجمهور (أع١٩: ٩). وفي خطابه الوداعي لقسوس كنيسة أفسس، نراه يذكر أيضًا التجارب التي أصابته بمكايد اليهود. وعندما قامت الفتنة العظيمة، أظهروا حقدهم ضد المسيحيين بدفع الإسكندر ليتنصل من كل علاقة بهم.

تلك العراقيل العظيمة جدًا التي واجهت صانع الخيام المتواضع، إذ استقر لمباشرة صناعته مع أكيلا وبريسكيلا، ولكنه تطلع إلى مدى أبعد من حدود حانوته، وترفع انتصارات عظيمة من أجل ربه، كما فعل "كيري" المبشر العظيم، الذي بشر الصين، إذ كان يعمل في حانوته الوضيع كإسكافي، واضعًا أمامه خريطة العالم كله؛ على أن الذي كان معه أعظم من كل الذين كانوا ضده، وفي كل هذه، كان مرتبًا له أن يعظم انتصاره بمن يحبه.

٢. لنتأمل في الاعتراف:

لنرجع إلى سفر الأعمال، ونتساءل، إن كان بولس حقًا أعظم من منتصر؟ الجواب واضح كل الوضوح، فإنه بعد جهاد مع اليهود ثلاثة أشهر في مجمعهم، اضطر لسلوك الطريق الذي اعتاده في مثل هذه الظروف، فنقل تلاميذه إلى مدرسة إنسان اسمه تبراس، وكان يعلم فيها يوميًا من الصباح إلى الظهر، وبعد ذلك، يستريح قليلاً. كانت نتيجة هذه الخدمات أن «سمع

كلمة الرب يسوع الساكنون في آسيا من يهود ويونانيين». يا له من تصريح قوي جدًا إذا ما تذكرنا أن تلك المنطقة كانت مكتظة بسكانها، وحتى الصياغ الذين أثاروا الفتنة اعترفوا «أنه ليس في أفسس فقط، بل من جميع آسيا تقريبًا استمال وأزاغ بولس هذا جمعًا كثيرًا»، وأنه كان هنالك خطر عظيم أن يُخلى الهيكل من المصلين وينزع من ارطاميس عظمتها. أما ما يخص بتجارة وصناعة التعاويذ وما إليها، فقد تحقق الصناع بأنهم إن لم يتحركوا ضاعت مكاسبهم.

وأما فيما يختص بمركز المعزومين والعرافين المنيع، فإنهم قد ارتبكوا جدّا بسبب المعجزات الأقوى جدّا التي كان يصنعها بولس، حتى أن المناديل التي كان يستخدمها ليمسح بها العرق عن جبينه، والمآزر التي كان يضعها، كانت تستعمل واسطة للشفاء لدى نقلها منه إلى المرضى والمصابين بأرواح شريرة. كان التأثير قويًا جدًا، حتى أنهم اعتقدوا أن المسيح لديه أسرار أسمى من أسمى ما تحتويه كتبهم القديمة «وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ. هكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ».

وأما فيما يختص باليهود المعزمين، فإنهم هم أيضًا أبكموا، إذ أن اسم يسوع عندما كان يسمي، حتى من لم يؤمنوا، كانت له قوة على الأرواح الشريرة، الأمر الذي عجز عنه أي اسم آخر. وكان يستعمله أيضًا بسخرية بعض اليهود الطوافين (المتجولين) الذين آلوا على أنفسهم أن يسموا بهذا الاسم العذب المبارك على البعض من أصيبوا بأرواح شريرة، على أن الشيطان نفسه في أحدى المناسبات العظيمة اعترض عليهم قائلاً: «أَمَّا يَسُوعُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ، وَبُولُسُ أَنَا أَعْلَمُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَوَثَبَ عَلَيْهِمُ الإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ، وَغَلَبَهُمْ وَقَوِيَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى هَرَبُوا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ عُرَاةً وَمُجَرَّحِينَ».

٣. ولنتأمل في تعويذة الانتصار:

إذا ما تحولنا هن الحياة الخارجية لذلك الإنسان العجيب، الذي كان يبدو وحيدًا في حروبه وانتصاراته. وتأملنا في مذكراته، وجدناها تتضمن سجلاً رقيقًا لأحزانه وتجاربه؛ فإنه إذ كان أثناء تلك الشهور الكثيرة الحوادث، نراه يتحدث عن نفسه كإنسان محكوم من أجل المسيح، قاسي مرارة الجوع والعطش، عندما كان الاقبال على صناعته قليلاً والأجر ضئيلاً. بلا إقامة،

لعدم تمكنه من الإقامة طويلاً في أي مكان بسبب مؤامرات أعدائه، أصبح مبغضًا، ومحتقرًا، ومضطهدًا، ومفتري عليه، صار «صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ» (١كو ٤: ٩-١٣).

وعندما سرد روايته عن ضيقته التي أصابته أثناء إقامته في آسيا، يقول: أنه تثقل جدًا فوق الطاقة حتى يأس من الحياة أيضًا، وأنه كان مكتئبًا في كل شيء، متحيرًا، مطاردًا، مطروحًا، يئن في خيمه جسده، حاملاً في الجسد كل حين إماته الرب يسوع. وعلاوة على جميع هذه الآلام التي كانت من الخارج، فقد كان يضغط عليه يوميًا الاهتمام بجميه الكنائس وجزعه بصدد الأفراد الكثيرين، إذ لم يكف قط عن أن ينذر بدموع، كل واحد، ليلاً ونهارًا (٢كو٨: ١-٨، ٤: ٨-١٠، ١١: ٢٧، ٢٨).

ليس هناك بين الآلام البشرية والصبر والاحتمال، ما يثير الشجون، بقدر ما دون عن اختباراته في أفسس، عند عودة قسوس كنيستها إلى شاطئ ميليتس، والقاء خطابه الوداعي عليهم. وفي هذا الخطاب أيضًا، يقتبس كلمات المزمور القديمة، والمتضمنة بأنه كان يُمات كل النهار وحُسب كخروف للذبح، ثم يُعدد الضيقات والآلام والاضطهادات والجوع والعري والأخطار والسيف كعناصر جوهرية ينبغي أن تمتلئ بها كأسه، يُضاف إلى هذا، الآلام المستمرة المُتسببة عن شوكة الجسد، وإننا نتعجب أشد العجب أن تباح لإنسان كهذا أن يكون أعظم من منتصر تحت ظروف معطلة كهذه، وأمام قوات مقاومة كهذه، ونتيجة لكل هذا وواضح أننا يجب أن نبحث عن سر نصرته خارجًا عن نفسه. كان السر هو هذا: «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا». إنه لم ينتصر فحسب ، بل كان أعظم من منتصر، إنه أنتصر بكل سهولة، وعاد بغنائم الانتصار، وذلك لأنه كان يوميّا على اتصال بمن أحبه، ويحبه، وسيحبه إلى الأبد. ومن كان يمده دوامًا بقوي عظيمة كما يمد العمال زميلهم بالأكسجين باستمرار، إذ يغوص في أعماق البحار لطلب اللآلئ.

اذاك فقد كان الأمر الوحيد الذي يقلق الرسول هو: هل يمكن أن يفصله أي شيء عن الرب الحي، المحب «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ » كان هذا هو السؤال الوحيد الذي يستحق التفكير. وهنا نراه يبحث بكل اهتمام أقصى حدود الكون، لأنها تشمل كل شيء بينها. فيتساءل أولاً عن اقصى حدود الوجود «الموت والحياة». ثم أقصى حدود المخلوقات

«الملائكة والرؤساء والقوات»، ثم أقصى حدود الزمن «الأمور الحاضرة والمستقبلة»، ثم أقصى حدود المكان «العلو والعمق»، وأخيرًا، أقصى حدود المسكونة المخلوقة «خليقة أخرى».

جالت بخاطره كل هذه الحدود، وتفرس بدقة في أعماقها، كأنه يشبه رجلاً يختبر كل حلقة في السلسلة التي سيعلق بها هاوية سحيقة. لقد فحص الكل بغاية الدقة والحرص، واستراح إذ أدرك بأنه لا شيء فيها يستطيع أن يفصله عن محبة اللّه، وطالما كان هذا هو الحال، فهو متيقن بأنه لا شيء يستطيع أن يفصل عنه امتدادات الحياة وقوة اللّه التي تجعله أعظم من منتصر.

كثيرًا ما أنسانا الحكم على محبة اللّه بكيفية غريبة، فتوهمنا بأن مصائبنا وآلامنا، خطايانا وسقطاتنا، تقلل من محبته لنا، مع أنها تزيده اقترابًا منا، وتجعل محبته تزداد وضوحًا ورقة؛ ففي دائرة الحياة العائلية، ليس الأولاد الأصحاء الأقوياء هم الذين يثيرون اهتمام الأم بقدر اهتمامها ومحبتها وعطفها على الطفل المريض، المُلقى في فراشه زمنًا طويلاً، عاجز عن خدمة نفسه. وفي العالم، إن الموت والآلام، والأمراض والأحزان، السقطات، الخطايا، إنما تزيد اللّه اقترابًا إلينا. وحاشا أن تفصلنا عن محبته، بل هي تزيدنا اتصالاً به.

إيه أيتها المحبة المباركة التي تنزل إلينا من قلب يسوع، محبة اللّه الأبدية التي تأتينا بالمسيح، لا شيء يستطيع **أن** يعطل سيرك، أو يستفذك، أو يقطع عليك الطريق، إنها لا تدعنا نذهب، بل تقفز فوق كل جبال الصعوبات، دون أن تكل أو تمل، هي لا تتوقف على مقدار استعدادنا لقبولها أو استجابتنا لها. ليست محبتنا هي التي تمسك باللّه بل محبة اللّه هي التي تمسك بنا، ليست محبتنا له، بل محبته هو لنا وطالما كان لا شيء يستطيع أن يفصلنا عن محبة اللّه فإنه يستمر في محبتنا إلى الأبد، ويسكب فينا من ملء حياته ومجده، ولذلك فمهما كانت صعوبتنا وضعفاتنا، مهما كثرت براميل المياه التي تُصب فوق المحرقة والحطب الذي وضُعت عليه، فإننا نبقى ثابتين غير متزعزعين، مكثرين دوامًا في عمل الرب، نجني من خسائرنا ربحًا، ومن سقطاتنا نجاحًا، ومن هزائمنا انتصارات، ويعظم انتصارنا دوامًا بالذي أحبنا.

مجد مستقبلي

«أَمَّا قِدِّيسُو ٱلْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ ٱلْمَمْلَكَةَ وَيَمْتَلِكُونَ ٱلْمَمْلَكَةَ إِلَى ٱلأَبَدِ وَإِلَى أَبَدِ ٱلآبِدِينَ» (دانيال ٧: ١٨)

كم هي رائعة ومشجعة تلك الكلمة الصغيرة «أَمَّا» للذي ينتبه جيدًا إلى كلمة اللّه. في هذا النص، رأى دانيال رؤيا (دانيال ٧: ١)، ثم قدَّم تفسيرًا موجزًا لها (دانيال ٧: ١٧-١٨). فإن أربع إمبراطوريات، أو أربعة ملوك، سوف «يَقُومُونَ عَلَى [من] ٱلأَرْضِ» (دانيال ٧: ١٧)، وهو ما يُعَد إشارة إلى أصلهم الأدبي. وفي دانيال ٧: ٣، نقرأ أن هذه الممالك نفسها كانت صاعدةً «مِنَ ٱلْبَحْرِ». وهذا ليس تناقضًا، بل تأكيدًا للطبيعة الحقيقية لتلك الممالك. فكما أن البحر تتقاذفه الرياح التي تهب من أيِّ اتجاه، يعاني النظام العالمي من الاضطراب والتمزُّق من جراء القوى السياسية والعنف. ومن هذه الظروف، تَنشَأ الممالك. وقد ذُكِرت أربع ممالك في هذا الأصحاح.

كانت آخر هذه الممالك هي الإمبراطورية الرومانية، التي ستَظهَر بعد اختطاف الكنيسة. ونحن نَشهَد بالفعل بدء صعود هذا الحيوان الرابع وتكوُّنه. فإنه سوف «يُغَيِّرُ ٱلأَوْقَاتَ وَٱلسُّنَّةَ» (دانيال ٧: ٢٥). ولا شك أن هذا يشير إلى المواسم والشرائع التي سيمارسها اليهود مرة أخرى خلال فترة الضيقة.

لكن ماذا عن اليوم، حين لا يزال المؤمنون بالرب يسوع يعيشون على الأرض؟ إننا نشعر بالفعل بهذا التغير في الأوقات والسنن. فإن الإنسان يغيِّر من فرائض اللّه وتوجيهاته، كي يفسح المجال لرغباته. وبهذا، يمهِّد السبيل، بأقصى سرعة، لظهور الوحش، الذي هو رأس الإمبراطورية الرومانية. لكنَّ روح اللّه يوجِّه أنظارنا إلى المستقبل قائلاً: «أَمَّا قِدِّيسُو ٱلْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ ٱلْمَمْلَكَةَ». وإن نور هذا المستقبل الباهر يشرق الآن على طريق المؤمن. فيومًا ما، جميع الذين أَحَبُّوا الرب سيستمتعون بذلك الملكوت على الأرض. فإن قديسي العهد القديم، وجميع الذين يشكِّلون كنيسة اللّه الحي في العصر الحاضر، بالإضافة إلى أولئك الذين سيتبعون الخروف خلال فترة الضيقة، ينتظرون تأسيس هذه الملكوت، الذي لن ينتهي إلى الأبد. يا له من حافز على الثبات في الإيمان! ونَعلَم أن الكنيسة ستحظى بمكانة فريدة وخاصة في ذلك الملكوت: فهي سوف تكون امرأة الخروف، وسوف تملك معه على الأرض.

من روائع الكلمة

الراعي الملك!

على مر التاريخ المقدس طالما رأينا رعاة. كهابيل وإبراهيم ويعقوب واسحق وموسى وداود وعاموس.. وغيرهم. والراعي يتميز بالعطف والقلب المحب والتضحية.. الخ.

كما رأينا عبر العصور ملوكًا.. سواء في إسرائيل أو في الأمم في مقدمتهم شاول وسليمان.. وهناك من الأمم نبوخذ نصر البابلي وكورش الفارسي.. الخ. والملوك عادة تميزهم السطوة والصرامة ونادرًا ما يتحلَّون بالعدل.

لكن أن تجد راعيًا وملكًا في نفس الوقت فهذا أمرٌ نادرٌ؛ أو ربما رأينا ظلاً باهتًا في داود "الراعي الملك". لكنه فشل أحيانًا في رعايته لشعبه، كما فشل في بيته أحيانًا أخرى. مما أثَّر على مُلكه.

لكن يبقي الراعي الصالح، راعي الخراف العظيم، رئيس الرعاة؛ الرب يسوع المسيح هو أعظم راعي على مر التاريخ.. وهو في ذات الوقت.. ويا للعجب رئيس الرؤساء وملك الملوك، ورب الأرباب!

حقًا كم ستسعد الخليقة عندما يملك عليها هذا الراعي الملك!! وكم نسعد نحن عندما نتمتع برعايته ونُملكه على حياتنا في نفس الوقت؟